

على السَّفود



وَالسَّفُودُ نَارٌ لَوْ تَلَقَّيْتُ بِجَاحِهَا حَدِيدًا ظَنُّ شَحْمًا
وَيَشْوِي الصَّخْرَ يَنْزُكُهُ رُمَادًا فَكَيْفَ وَقَدَرِ مَيْتُكَ فِيهِ لَحْمًا؟

العقاد اللص

في ٢٨ من اغسطس من هذه السنة (١٩٢٩) صدرت جريدة احوال الاسبوعية في القاهرة وفيها مقال عنوانه «لو...!». تأثيرها في تاريخ العالم - وفي ٢ من سبتمبر - بعد أربعة أيام - صدرت مجلة الجديد مفتحة بمقال هذا عنوانه : لو - للكاتب القدير الاستاذ عباس محمود العقاد !!! وكلنا المقاتلين مترجمة عن الاستاذ «هيرتشو» مدرس التاريخ بكلية الملك في جامعة لندن نقلا عن مجلة الاوتلاين الانجليزية.

غير أن اللص الجبار!!! زعم الشركة في علم استاذ التاريخ فساق الكتابة في أسلوب يوم القارىء انه هو صاحب البحث ومخترع العنوان وانه لم يأخذ من المؤرخ الا ما يأخذ من « يفك قرشين » يعطى قطعة هي هما سواء فما أخذ الا بقدر ما أعطى وكازدا مال في قرشيه!!! ولم يكن لصا . وهكذا يزيد العقاد على لصوص الأدب والكتابة بما فيه من هذه الوقاحة العامة الثقيلة التي هي سلاحه في كل ميادينه . وليس هذا بعجيب فان مثل العقاد حشرات وحيوانات سلحتها الطبيعة في ميدان التنازع بأسلحة من هذا الباب بعضها وقاحة من أمعائها . . . كالظربان (على وزن القطران) وهو دوية فوق جرو الكلب منتنة الريح كثيرة الف . . . و؟ والجبارى وهي تحارب الصقر اذا قرب منها بوقاحة (من الباطن) . . .

وكل ما يكتبه العقاد فهذه سبيله فيه كأن اللغة الانجليزية عنده ليست لغة ولكنها . . . ولكنها مفاتيح كتب وآلات سرقة . ولسنا ندرى ما الذي يضر هذا المفرور لو صدق الناس عن نفسه وقال فيما يترجمه إنه يترجمه وفيما ينقله انه ينقله ؟ إنه ان كان يريد الفائدة للقراء فالفائدة أن ينقل لهم نقلا صريحا بأمانة لا غش فيها ولا تخليط ، وان كان يريد الفائدة لنفسه ففائدة نفسه ان لا يعرف احد انه اص كتب فوجب ان ينقل نقلا صريحا بأمانة ، لان آلافا من الناس يعرفون ما يسرقه ويدعيه . ولكن هناك عاملين يفسدان على العقاد . احدهما غروره فيأبى الا أن يجعل لنفسه شأنا فيسرق ويدعى . والثاني غفلة قرائه وهم من السواد الجاهل أو النصف جاهل كالذين هتفوا له في بعض اجتماعات الوفد المصرى وقد ذكر تعطيل مجلة الممثلة الشهيرة روز اليوسف وقام العقاد ينادى لتسقط جريدة الاهرام فهتفوا تحيا روزا اليوسف تحيا العقاد!!!! .

اي أتبعوه بروزا ووضعوا له علامة تأنيث .
إن كلا العاملين متمم للآخر كما ترى فاذا أضفت الهيماء لوم الغريزة كما عرفت من قبل - خرج لك العقاد . وإن اخف رذائله ان يكون اص كتب وهو لو استطاع ان يسرق مخ فيلسوف أو كاتب أو شاعر من حجمته لسرقه ليكون جبار الذهن بشهادة أعمال المخ لا بشهادة أمثال من يقولون (تحيا العقاد)

وهنا استطراد لا بد منه فان أديبا فاضلا من يوفون اللغتين الفرنسية والانجليزية قال لنا: آمنا ان العقاد لأهمية له شاعرا ولا أديبا وأن (موبليات) الغرقين عنده موبليات

أصحابها . . . قال ولكن العقاد كاتب سياسى لا يستغنى الوفد عنه ، وهذه هى أهميته ،
وهذه هى شهرته .

قلنا فاما اذا اتينا الى هذا فاننا كنا فى غفلة معرضين اذ كنا نطلع على جريدة البلاغ
اليومية التى يكتب العقاد فيها ويعلم الله ان أول ما نتخطاه منها مقالة العقاد فمنا كنا نقرأ له
الانذار ونادرا جدا وجدنا جدا ، اذ نعتقد انه مأجور للسباب والمغالطة والنضح بما فيه على
قاعدة قولهم ينبغى لكل كريم ان يتخذ له سفيرا يسافه عنه — وقد أشرنا الى هذا المعنى
من قبل — ولسنا نجعل ان ذلك هو أصل شهرة العقاد اذ يكتب كل يوم فى حوادث
البلد و ينضح عن الوفد الذى بلغ من تمكنه فى الامة أن قيل فيه : لو رشح الوفد حجرا
لاختياره . فلو كان العقاد حجراً لكان من كل ذلك كاتباً شاعراً أديباً فيلسوفاً جبار
ذهن !! ولا تسأل بماذا هو كاتب شاعر أديب فيلسوف جبار ذهن . ولكن سل
بقوة ماذا ؟

وفى بلادنا هذه قد يبلغ رجل عند قوم درجة قريبة من الغبوة لا بوحى يوحى
ولا بعلم لدنى ولكن . . . ولكن بعمامة خضراء وحمراء مثلها كثير فى حوانيت
الانقشة ، لولا أنها على رأس دجال أستاذ فى أساليب الشعوذة . وعمامة العقاد هى
مقالاته السياسية ولا ريب

فالرجل كاتب سياسى كبير فى رأى رجال الشوارع اذ يرون اسمه كل يوم فى
أذبال مقالات الحوادث أى ببرهان كبيرها ان قولهم : عنزة ولو طارت . . . أما فى
رأى رجال الوفد أنفسهم فما نظنه يعدو عندهم معنى لمعنى عربة الكنس لا انذار السفاهة
التي يتلقاها بها خصومهم السياسيون . وقد انقلبت هذه العربة مرة على صاحب جريدة
البلاغ نفسه فبلغ من وقاحة العقاد أن يشتم صاحب الجريدة فى وجهه وفى ادارته .
و كان هذا من أسباب طرده فيما نقلت جريدة الاخبار

كنا نتجاوز مقالات العقاد السياسية ولا نقرأها فانه فى رأينا يحتاج الى أن يعود
ذرة من الذر فى عالم الاصلاب وينقل الى سلسلة جدود عظام كرام ثم يخاق ثم ينشأ
ثم ينبغ ثم لعله بذلك يكون كاتباً سياسياً وطنياً قريباً من درجة المرحوم
أمين بك الرافعى الذى كنا نقرأ كل حرف يكتبه فى مقالاته . ولكن بعد أن

نبهنا ذلك الاديب أخذنا نتبع مقالات العقاد التي يكتبها الان في جريدة مصر فاذا هي نافذة لا طعم لها في كثير منها وقد يتكلم المتكلم أبلغ منها وأحكم ولكن الحق حق فان العقاد يجيد اجادة حسنة في فرع واحد من الكتابة وهو يجرى فيه اللوم والحقد وما يكون بسبيل من الدناءة وسقوط الكرامة حتى ليخيل الينا أن هذا الرجل ينطوى من نفسه على مكتبة في هذه المعاني اجزاؤها طباعه وتجاربه وساوسه وحوادثه وآماله فهو حين يكتب في ذلك لا يكتب ولا يؤلف وإنما يقوم من نفسه مقام المستملى لا غير .

قرأنا له في عدد يوم ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٢٩ مقالا بديعا عنوانه «سيام — دراسة نفسيه» يرمى بها الاحرار الدستوريين، وقرأناها فوالله ماخرجنا منها الا بأنها أبلغ وصف من قلم العقاد للعقاد نفسه للاحرار الدستوريين ولا لغيرهم . وانظر كيف يدع الوصف في قوله : رأيت اختلافا في الصور والملاح ولكني لا أخطئ . أن أرى فيهم جميعا علامة واحدة مشتركة بين افرادهم المختلفين وهي (تأمل) علامة الرضى عن النفس والاغترار بالبلد المطبوع . فهذا مسدود الحلقة تترامى على وجهه الحيوانية الكشيفة ويتمثل فيه شكل لوصفته قليلا لخرج منه خنزير أو حمار (أوعقاد!!!)^{١٠} ولكنه هو فيما بينه وبين نفسه لا يرى وراء مطالبه مطلباً ولا وراء احساسه بالندى موضعاً ل احساس (يعنى مثل العقاد) . وهذا أتيق معجب بذاته فرح بما في رأسه فجمع الرأى على الاستهزاء بكل ما يحدوه والاستخفاف بكل مالا يروقه (مثل العقاد) الى ان يقول : وهؤلاء وغيرهم يختلفون كما رأيت في مظاهر الصور والاخلاق ولكنهم في القرار العميق مبتلون بعاهة واحدة هي (الرضى عن النفس) والانعصار فيها وموت كل احساس بالاثار وكل عاطفة من عواطف السباحة التي تسمى بالعواطف الغيرية تميزا لها من عواطف الانانية التي تدور حول الذات وما يتعلق بالذات . انتهى !! هذه صفات العقاد بالذات وهي أخص ما عرف العارفون من خصائصه وكنا

(١) جاء هذا المعنى في كتاب رسائل الاحزان في فلسفة الجمال والحب الذي صدر في سنة ١٩٢٤ وكتب العقاد عنه في البلاغ انه (كتاب نفيس في الادب ارق من النسيم وأعذب من الماء) ثم اقلب عليه بعد أيام من لومه وحقده . وقد سرق العقاد هذا المعنى واستعمله في كتابته مرارا

واقه نود لو نقلنا هذه المقالة بحروفها ولكنك تبين من تعرفه من وجهه وتلك النبذة التي نقلناها هي كالجلدة على الوجه الاخلاقي لذلك المغرور المبطل بعاهة الرضى عن النفس والانحصار فيها وموت كل احساس النخ

ومن المضحكات ان اديبا كلفته (المجلة الشهرية) التي كانت تصدر في القاهرة من سنوات، كتابة مقال ثم ارسلت اليه مسودة الطبع ليصححها فاذا فيها ورقة مندسة واذا هذه الورقة كتاب من (عباس محمود العقاد) أرسلته ليصححها فالحمد لله انصحح البروفة وارجو ان تضع مقالى في مكان مناسب لانى لا أرى نفسى أقل من أى أديب في هذا البلد. هكذا هكذا. ولكن يظهر ان كلام العقاد يكبر سنة بعد سنة فلم يكن أقل من أى أديب في هذا البلد سنة ١٩٢٤ ثم كبرت الكلمة فصارت في سنة ٢٩ أنه أكبر من أى أديب في هذا البلد. وسيكتب بعد حين كما كتب نيتشة في كتابه الاخير Ecce Homo أى «أنا هو» وجعل فصوله هكذا: لماذا أنا عاقل لهذا الحد، لماذا أنا نشيط الى هذه الدرجة، لماذا أكتب هذه الكتب الممتعة، أنا اعظم كتاب المانيا، ان قراءة كتاب من كتبى لا اعظم شرف يظفر به انسان، الخ والعقاد يقول مثل هذا لأن ولكنه لا يكتبه، فاذا طمست البقية الباقية من بصيرته كتبه ولو تقليدا لنيتشة نعود الآن الى استيفاء نقد قصيدة (الخزرة الالهية) إجابة لطلب ذلك الأديب وتوفية لما مر بك فى السفود الرابع

قال عباس محمود العقاد المشهور بصاحب مرحاضه :

تشابه فى عين النديم وما انتشى فوارغ صف كالثرى وماله
كؤوس كجام السحر يكشف وحيه ليغنيك من سر العوالم أخفاه
ومفسر جام السحر فى الشرح بقوله : هى الكأس التى يزعم السحرة أن من
نظر اليها انكشف عنه الحجاب ،

فاما البيت الأول فسخيف بالغ فى السخف لانه يريد ان النديم من نظر الكؤوس
سكر فتشابه عليه ما امتلا وما فرغ . وهذا بعينه قول ابن الفارض :

ولو نظر الندمان ختم إناثها لأسكرهم من دونها ذلك الختم
وكلمة (فوارغ صف) من لغة الشياطين والحمالين لا من لغة الادباء ، ولا ندرى
كيف تذكر فى وصف الخمر ، الا اذا كانت من ذوق عامى كذوق العقاد . وانظر

كيف صنع الشاعر. الحقيقي حين أراد أن يأتي بهذه المادة في شعره فقال واصفاً
الخر وصفاءها حتى كأنها الكأس :

خفيت على شربها فكأنما يجدون ربا من إناء فارغ
وهذا المعنى مولد من قول أبي تمام

تخفي الزجاجة لو أنها فكأنما في الكف قائمة بغير إناء
وقد تلاعب الشعراء ، وأكثروا فيه على صور مختلفة ولكن أحسن ما قيل في
الاشتباه على النديم من تأثير الخر قول القائل

فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساق
ونظن أن ابن الفارض أخذ من ابن الزيات في قوله

كفاني من ذوقها شمها فرحت أجر ثياب الشم
فقله ابن الفارض من الشم الى النظر وسرق العقاد سرقة عماية لا نظر فيها ...
ثم إن الثريا مجموعة نجوم ملتمة يخطف بريقها ، فلا يمكن أن تشبه بالكؤوس
الفارغة . ومع أن العقاد سرق هذا التشبيه نفسه من ابن المعتز ، فانه في هذه أيضا
أعمى . فابن المعتز يصف لك الثريا كأنها هي بلونها ونجومها واشتعالها في قوله
وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج
فهذا لعمرك هو التشبيه لا (فوارغ صف) ولعنة الله على هذه السوقية المبتذلة . أهى
كؤوس أم زكائب فوارغ ... ؟

وأما البيت الثاني من بيتي العقاد فعنايه سخيـف لان الخر لا تظهر شيئا من سر
العوامل فضلا عن اخفى أسرار العوالم انما تظهر سر صاحبها وفي ذلك يتلطف مسلم
ابن الوليد بقوله :

بعثت الى سر الضمير فجاءها سلسا على هذر اللسان مقولا

ومثله كثير في الشعر . فان أريد وحى الخر وتأثيرها في الذهن والقرينة فافضل
ما في هذا المعنى قول شاعر الفرس : شربنا الكأس فجرت الحقيقة التي كانت فيها على
ألسنتنا . ويقول صاحب مرحاضه :

شربنا وغنينا وما في عدادنا سوى شارب قد باع بالخر دنياه
يعنى كلهم سكارى . واذا كانوا سكارى فما هي الدنيا عندهم الا الخر . فكيف اذن

يبيعون بها الدنيا ؟ اظن هذا المتشاعر انما يريد معنى العامة في قولهم : باع دينه بالخرقة . وهذا كلام مستقيم ينطبق على السكير لان الخمر ليست من الدين . بل العامة أهدى من العقاد الى حقيقة المعنى لانهم يجعلون شعار الحشاشين والسكيرين هذه الكلمة : « عمار يا دنيا خراب يا منح » فكيف اذن يبعث الدنيا بالخمر ولا دنيا الا فيها عند اهلها ؟ لعله يريد اسباب المعاش كالنجارة والصناعة ونحوهما فتركوها واقتصروا على الخمر . فاذا كان هذا معناه وقصده فهم حثالة الناس ورذالتهم الذين لا قيمة لهم ولا منزلة ك بعض سفلة العامة في بعض الحانات التي يراها من يمر في شارع كلوت بك إن مجلس الشراب لا شعر فيه بعد الخمر الا من الجمال والاخلاق العالية التي لا تكون فيمن باعوا دنياهم بالخمر كما يقول النواس

لا يطيب الشراب الا لقوم جعلوا ثقلهم عليه الوقار

لا كقوم في ضجة وصياح كنهيق الخمار لاقى الخمارا

فهؤلاء الآخرون هم صحب العقاد في خمرته « شربوا وغنوا ، يعني ضجوا وصاحوا » كنهيق الخمار لاقى الخمار

ثم يقول صاحب مرحاضه :

اذا طاب في الفردوس ربا نسيما فأطيب في دار الشقاوة رياه

كان لا يصح هذا القياس لو أن الدارين (الفردوس ودار الشقاوة) تقاس احدهما على الأخرى فأما وهما تقيضان فلا وجه لقياسهما ولا للقياس بما فيهما . وهذا البيت من الأدلة على جهل العقاد بالمنطق سليقة وعلماً وبياناً ، والذين يعرفونه معرفة المخالطة والمحادثة يعرفون منه الجهل بكل علوم العربية . وانما هو رجل يحترف الصحافة فهو مضطر أن يقرأ وأن يكتب قدر ما هو مضطر ان يأكل وان يشرب فأصبح الكلام له كالعادة . فمن لم يعرف هذا منه ظنه عالماً او ادبياً او جبار ذهن والحقيقة انه ثرثار سباب لص أدب وكاتب ، لسانه اطول من عقله وعقله يحمي . من انجلترا كلما جاءت مجلة او كتاب . . .

ان بيت (صاحب مرحاضه) قياس ذو طرفين ليس للثاني منهما معنى الاول في نفسه فحمر الفردوس ليست من خمر دار الشقاوة اذ هي لا تفعل العقل ولا تدفع الى الاثم ولا تسقط المروءة ولا تذهب بالوعي الخ الخ . فلا يدل طرفا القياس دلالة واحدة

فمن ثم لا يصح من جهة الثاني ما يصح من جهة الاول فلا تكون النتيجة التي ينتقل اليها الفكر الافاسدة، ويصبح تركيب هذا المنطق كقولك : اذا كانت الحياة في الفردوس خالدة فهي في دار الشقاوة خالدة !!! واين حياة من حياة، واين دار من دار، واين العقاد من المنطق ؟ انظر قول ابن الفارض في اصل هذا المعنى .

وعندى منها نشوة قبل نشأتى • معى ابدًا تبقى وان بلى العظم

فهو قد جعل النشوة التي هي سرور الخمر آية معه من دار النعيم فهي خالدة فيه وهي بذلك خالدة به ما بقيت منه ذرة على الأرض بعد موته وبليت اعظمه . لان ذرات الجسم لا تلاشي وانما تتحول . فاذا كان ذلك مبلغ النشوة حتى في الذرة منه بعد الموت . والى ، فكيف بها في جسمه حيا يحس ويشعر ؟

هذا وايبك الشعر لاهراء صاحب مرحاضه وتلك هي الخمر الالهية لاخرة جلس الحانة الذي يشهد على نفسه وصحبه بانه • ما في عداهم الا قتي باع بالخردنياء فهم كما قال اخوهم من عبد الله بن جددان

شربت الخمر حتى قال صحبي • ألسنت عن السفاه !!! بمستفيق ؟

وحتي ما لوسد في مبيت • انام به سوى الترب السحيق

وحتي أغلق الحانوت رهني • وآنست الهوان من الصديق

هذه هي صفات الذين باعوا بالخردنياءم لا يفيقون من السفاه ولا يتوسدون في نومهم الا (كوم تراب) وبلغه هذا الزمان • تلتوار !!! ،

ثم في بيت العقاد غلطة اخرى فقد ادخل فاء الشرط على الخبر المقدم في غير موضعه وأخر المبتدأ فاصبح كلامه كقولك . اذا كان زيد كريما فأكرم ابوه وانت تعنى فأبوه اكرم، وهذا فاسد كما ترى ولا تجيزه ضرورة الشعر بل لو أجازته من جهة العربية على أضعف الوجوه لكانت من جهة البيان إعلانا عن جهل الشاعر وضعفه وتهافته (١)

(١) لا يجوز تقديم الخبر في مثل هذا التركيب حتى يصح دخول الفاء الرابطة للجواب عليه لان هذا التقديم يؤدي الى رجحان عمل آخر يبطل عمل المبتدأ في خبره ويجعل الخبر هو العامل في المبتدأ وتكون كلمة (رياه) كأنها فاعل (لأطيب) وبذلك يحتاج الكلام لتأويل وتعليل وحشو من هنا ومن هناك حتى يستقيم الجواب

ويقول صاحب مرحاضه :

ولو مزجوا بالخر طينة آدم لعاش ولم يدر القطار بحياه
نعوذ بالله وبالله نعوذ . لمن ترجع هذه الواو في قول هذا الرقيق (مزجوا) .
وهل خلقت آدم في رأى العقاد جمعية آلهية فيعود عليهم ضمير الجمع أم صنع آدم
في معمل كيماوى ؟ وهل تريد دليلا على ضعف العقاد في العريية أقوى من هذا البيت
وهو كان يستطيع ان يبنى الفعل للمجهول فيقول (ولو مزجت) الخ وهل نسى الرقيق
أنه يقول في (الخمر الآلهية) ؟ أفن الآلهية أن يعترض على الآلهو يعتبر الخلق والايجاد
صناعة كالصناعات يقال فيها « لو » لان فيها مكاناً للتحسين ومكاناً للاتقان ومكاناً
للزيادة ولانها صورة النقص الانسانى في جانب الكمال الذى يغمره ولا يزال من فوقه
في كل ما كمل الانسان فيه ؟

ولكن الغراب أراد أن يقلد الطاووس وأراد العقاد أن يقلد ابن الفارض ،
ولابن الفارض قدس الله سره آيات كثيرة في « لو » هذه بعضها ومنها .
ولو نضحوا بها ثرى قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فيء حائط كرمها عليلًا وقد أشفى لفارقه السقم
ولو قربوا من حانها مقعدا ومشى وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو خضبت من كاسها كف لأمس لما ضل فى ليل وفى يده النجم
ولو نال قدم القوم لثم فدامها لا كسبه معنى شئنا للثم

ويرتبط بالشرط وكل ذلك فى غير شئ . لان بيت (المراحض) ليس من آيات الشواهد
فى النحو ولا هو من العرب الاميين الذى كانوا يقولون الشعر ارتجالا او على
البدية او توجههم فيه طبيعتهم اللغوية باسباب يخالفون بها الخ . وقد قال ابن
فارس : ما رأينا اميرا او ذا شوكة أكرم شاعرا على ارتكاب ضرورة فاما ان يأتى
بشعر سالم اولا يعمل شيئا .

والضرورة من مثل العقاد لاتسمى ضرورة لانعدام أسبابها التى أجازتها للعرب
وانما هى عجز عن التركيب الاصح والاقوى فهى فى باب الضعف والغلط لافى باب
التأويل والتخريج

تأمل هذا الغور الشعري وانظر كيف يضئ الكلام كأن فيه بقايا من روح قائله
ثم اخرج من هذا الافق الى قول العقاد « ولو مزجرا بالخز طينة آدم !!! »
فانك من هذه الكلمة ستقع في أشد ظلام من نفس جاحدة لثيمة وأصعب اتواء
من صدر حقود ضيق

وما بيت العقاد الا توليد سخيف من البيت الاول لابن الفارض فغير (ترى
قبر ميت) بطينة آدم « ولو نضحوا ، بلو مزجوا (ولعادت اليه الروح) بعاش
(واتعش الجسم) بقوله السخيف (لم يدر القطوب بحياه) كأن الوجه يدرى ولا يدرى !!
وكان القطوب علم . ومن أقبح ما وقع فيه هذا المغرور أن يقيس على قول ابن الفارض
(ولو نضحوا) فيقول ولو مزجوا ثم لا يتنبه الى أنه بهذا قد خرج الى الاحالة
ووقع في الكفر وجاء بما لا يفهم أحد ، كأن همه كل هم منحرف الى السرقة بلا فكر
ولا فهم وهو مستيقن أنه بهذه الشعوذة يصبح جبار ذهن عند المغفلين من أمثاله
وقال صاحب مرحاضه .

اذا رسب القلب الحزين طفت به فيسمو الى حيث السعادة تلقاه
تأمل يا هذا سخف هذا التركيب وقل في أى شيء يرسب القلب الحزين حتى
تطفو هي به فيسمو الى حيث . . . الى حيث يا عقاد قبحك الله وقبح شعرك البارد
الريك . هل في البيت اكثر من أن الخمر تذهب حزن الحزين ؟ والباقي له حشو
ولغو ! وهو يخبر بذلك كما يخبرك به كل عامي لا يزيد العقاد عليهم الا الوزن .
ألا تضرب هذا البيت بالنعل حين تقرأ قول الافريقى المتي

وفتية أدباء ما علمتهم شبتهم بنجوم الليل إذ نجموا
فروا الى الراح من خطب يلهم فما درت نوب الايام أين هم ؟
هكذا فليقل من يقول والا فليسكت ولكن بأى شيء يصير الاحق أحقا ؟
والتجديد عند العقاد وأمثاله هو ستر عجزم عن مثل هذه الصناعة البيانية التى تحتاج
الى طبع وقوة وذوق وخيال ، فهو كقانون تأجيل الدفع (الموراتور يوم) فيه من عذر
التشريع لبعض الناس قدر ما في هذا البعض من عذر الافلاس
ويقول صاحب مرحاضه :

إذا نزل الندمان في ملكوتها تلاقوا فلا ذل هناك ولا جاه
 كأن الطلي بخر فمن خاض لجه تعرى فلا جند تماز ولا شاه
 كتب الطلي بالياء وهى بالآلف . وحاصل البيتين أو الخرابتين ١١١ أن الخمر تساوى
 بين شرايها من ملك وسوقة كالبحر متى نزله الجميع تعروا . وهذا معنى مطروق مبتدل
 وهو متداول بين الحشاشين على الخصوص فعندهم ان لا سلطان الا (السكيف) .
 ومن ذلك قول المأمون : مجلس الشراب يستوى فيه الكبير والصغير والرفيع والوضيع
 والحر والعبد، وهو بساط يطوى بما عليه .

تأمل يارعاك الله قوله (بساط يطوى بما عليه) فانها بالعقاد وشعره وما قال
 وما سيقول وهى حقيقة أن تكون كلبة ملك اذا قابلتها بقول صاحب مرحاضه (بحر
 يتعرى فيه الجميع) فان هذه كلبة خفير من خفراء مجلس بلدى اسكندرية الذين يقيمهم
 على الشاطئ .

ويقول (تلاقوا) أفليس كل من نزلوا فى مكان واحد تلاقوا وهل تلاقى الخادم
 وسيداه فى مكان يجعلهما فى درجة واحدة ؟ رأيت أقبح من هذا عجزا فى العرية وهو
 لو قال (تساوا) لاستقام المعنى .

وقوله (ولا شاه) مضحكة ولعلها أبرد قافية فى الشعر العربى على الاطلاق
 وأسخف ما فى القديم والجديد جميعا لاتناسنا فى زمن الشاه ولا شاهنشاه .
 أما والله لقد سئمتنا فلنوجز فى الايات الباقية . قال صاحب مرحاضه :

إذا أعوز الناس البراق فانها براق الى عرش الجلالة مرقا
 أيرتقى الشارب بالخر الى عرش الله كما ارتقت الانبياء بالبراق ؟ وهل ارتفع البراق
 الى العرش نفسه ؟ وهل سواء مراتب النبوة ومراتب (الناس) ؟ كل هذه اسئلة
 لا توجه لمثل هذا اللص الرقيق فان اللص لو لم يكن عند نفسه فوق
 السؤال والجواب لما سرق ولا أثم . ولكن من أين خطر للعقاد تشبيه الخمر
 بالبراق فى العروج الى السماء ؟

من قول ابن الرومى إذ يقول :

يا لها ليلة قضينا بها حا جا وان علقنا قلوبا بحاج
 رفعتنا السعود فيها الى الفو ز فكانت كليله المعراج

خطر لهذا السخيف (المراحضى) (١) أن يجعل مكان (السعود)
الكؤوس فصارت الكؤوس براقا ولا جرم ، ولعل اللص الأعمى خير من اللص
الأعور ، لأن كليهما لا بد أن يقع ولكن نصف نظر الثانى يضاعف عليه إثم الأول .
وتوليد العقاد دائما نصف ميت كما رأيت لأنه نصف شاعر ونصف أديب وإذا بلغ
الرجل من سخف التوليد أن يشبه الخمر بغرس الأنبياء فقل إنه نصف أعمى
وقال المراحضى

عجبت لدن لا يخف بروحها كما خف بالمنطاد روح تولاه
روح يعنى غاز وتولاه يعنى تمدد فيه . فهنا انقلبت الخمرة الإلهية فى شعر هذا
المراحضى غازا كان ينبغي أن يطير بالدنان ويمثل على مسرح الجو هذه الحماقة
القائمة براس العقاد وخياله . وهذا أيضا توليد نصف ميت من قول الأندلسى وهو
معنى غريب بديع .

ثقلت زجاجات أتنا فرغا حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت تستطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالأرواح
جعل الزجاجات الفارغة ثقيلة بجسم الميت حتى اذا ملئت بالخمر خفت بجسم
الحى . ومتى عرفت أن الحى اذا مات ثقل جسمه أدركته . جمال هذا المعنى وإبداعه
الى الغاية ، ورأيت فيه حقيقة الشعر الحى لا كذلك الشعر الذى يريد أن يجعل (الخاية)
منطادا ويلقى فى الخمر طعم الغاز والبنزين
وقد ولد ابن نباتة من معنى الأندلسى فى قوله :

وكاسات أشد يدي عليها مخافة أن تطير من المراح
لجاء شاعر آخر وأخذ من ابن نباتة وأبدع ما شاء فى قوله :

مشعشة تكاد من القناني تطير بما حوته من المراح
وهذا الشاعر هو وابن نباتة كلاهما من متوسطى الشعراء وكلاهما مع ذلك أشعر
من المراحضى كما ترى
وقال صاحب مرحاضه

(١) هذه النسبة أخف من (صاحب مرحاضه) فلا مانع أن تحمل محلها فيقال
فى التاريخ : عباس محمود العقاد الشاعر الملقب بالمراحضى

وكيف حواها الكوب والكوب جامد يدور فلا يهتز في الكف عطفاه
 لا بأس أن يكون للكوب عطفان ويدان ورجلان أيضا !!! ولكن اذا اهتز في الكف
 عطفاه اندلق مافيه فكان يحسن بالعقاد ان يجعله يدور حول نفسه فوق الكف كما
 تدور (نحلة) الصبيان التي يجرونها بالخيوط تدور على سننها ثم يضعونها على أفكهم
 وهي دائرة . . . والمعنى الدقيق في هذا البيت ان العقاد عجب للذن كيف لا يطير بما
 فيه ، ولما كانت الكأس لا تسمع الا قليلا بما في الذن كان طبيعيا أن لا يكون في هذا
 القليل من القوة الا ما يكفي لهر الكأس دون حملها وطيئرها !!! هذا كثير على ذكاء
 العقاد ولكن فاته ان نسبة مافي الذن الى وزن الذن لا يكون الا كنسبة مافي الكأس الى
 وزن الكأس . واذن كان يجب أن تطير هي أيضا اذا صح معنى البيت الاول
 وانظر اين معنى المراحضى وصناعته من قول ابن نباتة يصف الخمر والكأس
 مصونة تجعل الاسرار ظاهرة وجنة تتلقى العين باللهب
 خفت فلو لم تدرها كف حاملها دارت بلا حامل في مجلس الطرب
 ألا يغور هذا العقاد الآن وهو يرى كل شعر أوردناه كأنما يصبق في وجه شعره ؟
 وختام قصيدة المراحضى قوله

تغنوا بما شاؤوا وغيت بالطلی وكل يغنى في الانام بليلاه
 وكتب الطلی بالياء ايضا وهي بالالف لا غير اذ هي بالياء معناها الرقاب. والسرقة
 في هذا البيت ظاهرة معروفة من قولهم (كل يغنى على ليلاه) ولكن يبقى ان التي
 انقلبت فرسا أى (براقا) من قبل انقلبت امرأة اسمها (ليلی) . . . ألا يغور العقاد
 الآن والقراء جميعا يصبقون على شعره ؟